بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا التوحيد ..

لفضيلة الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

(المهيمن)

والمهيمن[1] اسم من أسماء الله العلى القدير ، الحكيم الخبير ، المعز المذل ، البصير ، سبحانه ، له الملك ، وله الأمر كله ، لا نعبد غيره ، ولا نلجأ فى الشدائد إلا إليه ، ولا نطلب الحوائج إلا منه ، لا نستعين بغيره ، لأن من استعان بغير الله ذل ، ولا نتبع سواه ، لأن من اتبع غير رضاه ضل ..

سمى نفسه المهيمن ، فجعل اسمه دالا على صفته ، وصفاته العلية لا يحصرها عدد ، يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

سمى نفسه المهيمن لأنه الرقيب الحافظ لكل شىء ، القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم باطلاعه واستيلائه وحفظه .

لقد اختار الله - تجلت حكمته - وعظمت قدرته « المهيمن » اسما ليكون دليلا على القوة والسيطرة ، والعزة والمنعة ، والشمول والاتساع .

ذلك لأن المهيمن معناه .. الشاهد الأمين ، والحافظ المصدق .

وقد جاء بالمعنى الأخير فى قول الشاعر العربى المسلم :

إن الكتاب مهيمن لنبينا
والحق يعرفه ذوو الألباب

---

(١) المهيمن : قال المبرد أصله مؤيمن أبدل من الهمزة هاء ، كما قيل فى أرقت الماء هرقت .
وقال الزجاج والفارسى : وقد صرف فقيل : هيمن يهيمن هيمنة وهو مهيمن بمعنى كان أمينا .
وقال الجوهرى : أصله : أأمن فهو مؤامن بهمزتين ، قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة لاجتماعهما فصار مؤيمن ، ثم صيرت الأولى هاء ، كما قالوا هراق الماء ، وأوراقه ، يقال منه : هيمن على الشىء يهيمن إذا كان له حافظا فهو مهيمن .

والمهيمن أيضاً من آمن غيره من الخوف والفاقة .

كل هذه المعانى الكريمة ، أجملها الله سبحانه فى «المهيمن» واتخذه لنفسه اسماً علما دليلا على القوة والسيطرة والتحكم ..

لأن من معانى المهيمن .. المسيطر الذى يسيطر على الوجود كله بما فيه ، ومن معانى المهيمن أيضاً الرابط ، الذى يربط الوجود كله فى وحدة متناسقة تتجه كلها إليه ، وتأتمر بأمره ، بوصفه الخالق المبدع المصور ، بوصفه الواحد القهار ، الذى لا مفزع إلا إليه ، ولا اعتماد إلا عليه ولا مفر من سطوته إلا برحمته ، ولا مناص من معصيته إلا بطاعته . لأنه الملك . . موجد الكون ، ومقيض الخير .. وإليه الأمر والمرجع والمنتهى سبحانه وتعالى .

لم يأت هذا الاسم « المهيمن » فى القرآن الكريم إلا فى موضعين فقط : حين ذكره الله سبحانه وتعالى وصفاً لنفسه فى قوله تعالى « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون[1]) .. فالله مهيمن أى رقيب على عباده حافظ لهم .

وحين ذكره الله صفة للقرآن الكريم .. فى قوله تعالى :

(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه[2]) أى وأنزلنا إليك القرآن يا محمد بالأمر الحق ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، أى من جنس الكتب « ومهيمناً عليه » أى عالياً عليها ومرتفعاً ..

فالقرآن مهيمن على ما سواه من الكتب السماوية ، رقيب عليها فما فيها مما يوافقه فهو حق ، وما خالفه علم أنه مبدل مغير .

ولقد وضح الرسول ﷺ قيمة القرآن الكريم ومنزلته الرفيعة ، بوصفه دستور الله على الأرض حين قال :

« كتاب الله ، فيه نبأ ماقبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ،

(١) سورة الحشر آية ٢٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٨ .

ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الترداد ، ولا تنقضى عجائبه ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم[1] » وصدق الله العظيم إذ يقول فى محكم تنزيله : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)[2] .

لهذا كله كان القرآن مهيمناً على ما سواه ..

وقد يتساءل البعض .. لماذا كان القرآن مهيمنا ، والهيمنة من صفات الله الخالق وحده - جل شأنه - ومن أسمائه الحسنى ؟

ذلك ... لأن القرآن إن أوجز كان كافياً ...

وإن أكثر كان مذكراً ...

وإن أمر كان ناصحاً ...

وإن نهى كان مشفقا ...

وإن حكم كان عادلا ...

وإن أخبر كان صادقا ...

وإن بين كان شافياً ...

لا يمله قارئه ، ولا يمجه سامعه ، يزيد على الترداد حلاوة ، وعلى التكرار طلاوة ، وغيره يعادى إذا أعيد ، ويمل مع التكرار والترديد ..

لهذا كان القرآن مهيمنا ، ولهذا حفظ فى الصدور من بدء نزوله إلى ما شاء الله أن يكون ، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها ، مصداقا لقوله وقوله الحق :

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[3] .

صدق الله العظيم

---

(١) رواه الترمذى وغيره .

(٢) سورة ص آية ٢٩ .

(٣) سورة الحجر آية ٩ .

الحكم البليغة فى خطب النبى صلى الله عليه وسلم

بقلم سماحة : الشيخ عبد الله بن حميد
الرئيس العام للاشراف الدينى بالمملكة السعودية

والمساواة بين عباده إنما تكون فى أمر ثابت على التأبيد كالتشريعات الإلهية التى يستوى فيها الشريف والوضيع والغنى والفقير، كالوضوء وغسل الجنابة وكالصلاة والصوم إلى غير ذلك . دون الأمور التى قضت حكمة الله باختلاف الناس فيها فهى غير ثابتة على نهج واحد على الدوام كالمال بل جعل هذا غنياً وهذا فقيراً وربما افتقر الغنى واغتنى الفقير .

فالمال ليس بالأمر الثابت الذى يستوى فيه كل الناس، فهو أشبه بالمواهب والعقول التى لا يأتى فيها التساوى بين الناس نتيجة لتفاوتهم فيها تفاوتاً يليق بسنة الحياة .

ومما يزيد الأمر وضوحاً أن الرسول ﷺ كان لا يؤمم مال أحد ولا يعادل فى الأموال بين الأغنياء والفقراء فى حالة الرخاء، فقد كان فى الصفة فى مسجده الشريف فقراء لا يجدون القوت إلا من صدقات الناس عليهم . وفى المدينة كثير من الأغنياء وما رأيناه ﷺ أمم لهم مال أحد من أغنياء المدينة ولا عادل بينهم وبين الأغنياء فى أموال وهم أحوج ما يكون إلى ذلك ، وأيضاً عندما أراد الرسول ﷺ تجهيز جيش العسرة فى غزوة تبوك رأيناه يحث الأغنياء ويرغبهم على تجهيزه بما يستطعون وكيفما يستطيعون وتباروا يستبقون لتجهيز بما يقدرون عليه . فاختلفت مساعدتهم بحسب اقتدارهم المادى ورغباتهم الجامحة فى الخير فلو كان المال ملكا للأمة ولم يكن ملكا لملاكه الذين اكتسبوه بطرق الكسب المعروفة فى التشريع الإسلامى لانتزعه ﷺ من أيدى الأغنياء وجهز به الجيش الغازى فى أحرج ظروف عرفتها تلك الغزوة

ولم يكن ﷺ فى حاجة إلى ترغيبهم وحثهم فى المساعدة على التجهيز . ورأيناه ﷺ فى غنائم هوازن التى قسمها بين الغانمين ثم عاد إليه أهلها مسلمين وقد حاز كل غانم نصيبه ونال حصته من الغنم بالقسمة

من رسول الله ﷺ وقد قام خطيباً فى الغانمين وقال لهم :

«أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤا تائبين وإنى قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب ذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفيء الله علينا . فقال الناس : قد طبنا ذلك يا رسول الله فقال لهم إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم عادوا إلى رسول الله يخبرونه إنهم قد طيبوا وأذنوا .

فهذا سيد الخلق وإمامهم يحتاج إلى مؤاذنة الناس والحصول على رضاهم فيما سيردونه من أموال قد أصبحت ملكا لهم خاصاً بأحد أسباب الملك المشروعة فى الدين فلو كان هناك مجال للتأميم أو الاشتراكية لأممها ﷺ بينهم جميعاً ولسوى بينهم فى قسمتها للاشتراكية القائمة بحكم التأميم ولكن، الأمر على خلاف ذلك فلا تأميم ولا اشتراكية وإنما هى الملكية الفردية يقررها رسول الله ﷺ لها حرمتها وصيانتها فيستأذن ملاكها ويطلب رضاهم ﷺ ليشرع للناس أنه لا يحل لأحد مال أحد إلا بطيب منه وإذا كان هو نفسه عليه الصلاة والسلام يؤاذن الناس فى التنازل عن حقوقهم ويطلب رضاهم فى ذلك فغيره من الناس من باب أولى وهو ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما قرره القرآن وفيما تقدم من الآيات والأحاديث دلالة واضحة على بطلان الاشتراكية وأنها ليست من الإسلام فى شيء بل أول من قال بها ودعا إليها مزدك أحد رجال فارس دعا إلى الاشتراكية فى المال والنساء فتبعه على قوله كثير من الفقراء ورعاع الناس فوافقه الملك قباذ ولكن ابنه أنوشروان بعد أن تولى الملك بعد أبيه دعا بمزدك فقتله وقتل أصحابه وأبطل الاشتراكية واحترم الأموال كما احترم الدماء والأعراض ، وهذا الملك الفارسى الذى أبطل الاشتراكية هو الذى قال عنه النبى ﷺ «ولدت فى زمن الملك العادل» :

فلا عبرة ببعض المنتسبين إلى العلم القائلين بالاشتراكية فى المال . فهؤلاء وأمثالهم هم آلة السياسة وأعوان الرئاسة وهم كثيرا والأكثر الله .

قوله ﷺ : كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا :

أى أنه شبه تحريم الدم والمال والعرض بما هو مستقر تحريمه فى نفوسهم من ذلك اليوم والشهر والبلد قال الحافظ :

فيه تأكيد التحريم وتغليظه بأبلغ ممكن ممكن من تكرار ونحوه ، وفيه مشروعية ضرب المثل وإلحاق النظير بالنظير ليكون أوضح للسامع وإنما شبه حرمة الدم والعرض والمال بحرمة اليوم والشهر والبلد لأن المخاطبين بذلك كانوا لا يرون تلك الأشياء ولا يرون هتك حرمتها ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب وإنما قدم السؤال عنها تذكارا لحرمتها وتقريرا لما ثبت فى نفوسهم ليبنى عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد :

وقوله ﷺ « : ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعه ، وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة ابن الحارث كان مسترضعاً فى بنى سعد فقتلته هذيل » وربا الجاهلية موضوعه وأول ربا أضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله » فى هذه الجملة إبطال أفعال الجاهلية وبيوعها التى لم يتصل بها قبض وأنه لا قصاص فى قتلها وأن الإمام وغيره ممن يأمر بالمعروف أو ينهى عن منكر ينبغى أن يبدأ بنفسه وأهله فهو أقرب إلى قبول قوله وإلى طيب نفس من قرب عهده بالإسلام وأما قوله : ﷺ تحت قدمى ، فإشارة إلى إبطاله.

وفى قوله ﷺ : « ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع » إضافته إلى الجاهلية إضافة ذم وعيب أى كل ما كان من أمر الجاهلية كفخرها بالأحساب وطعنها فى الأنساب وتعصبها المذموم كله موضوع باطل كما أشار إليه ﷺ بقوله تحت قدمى موضوع . وقوله ودماء الجاهلية موضوعه . أى لا قصاص فيما دونه مما كان حاصلا فى الجاهلية..

وقوله : وربا الجاهلية موضوعه :

الربا محرم بالكتاب والسنة والإجماع ومفاسده كثيرة جداً. نسأل الله السلامة وقد قال بعض العلماء : إن أكلة الربا مجرب لهم سوء الخاتمة والعياذ بالله. ومع هذا قد فشا الربا فى مجتمعنا فشواً شنيعاً ذريعاً ينذر بضياع الثروة ومحو البركة وسقوط المحبة وانعدام التعاطف والتراحم بين الناس . وآكلوا الربا لا يقومون يوم القيامة أو لا يقومون فى الدنيا إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان وهو المصروع من المس وهو الجنون وهذا مشاهد فيهم فى الدنيا إذ هم رغم وفرة أموالهم ومزيد

(البقية على ص ١٠)

ذكر الله

لفضيلة الشيخ سيد سابق
مدير عام الدعوة بوزارة الأوقاف

الذكر هو ما يجرى على اللسان من تعظيم وإجلال وتسبيح لله وحمد له وثناء عليه مع حضور القلب وخشوعه والذكر على هذا النحو عبادة من أفضل العبادات. ففى الحديث الصحيح يقول الرسول ﷺ عن الله تبارك وتعالى « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فمن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ أوسع منه ومن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ».

ويقول الرسول ﷺ : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت » ويقول صلوات الله وسلامه عليه « ألا أنبئكم بأفضل أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال : ذكر الله ».

والمقصود من الذكر تزكية النفوس وتطهير القلوب وإيقاظ الضمائر. وإلى هذا هذا تشير الآية الكريمة (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر).

أى أن ذكر الله فى النهى عن الفحشاء والمنكر أكبر من الصلاة وذلك أن الذاكر حين ينفتح لربه جنانه ويلهج بذكره لسانه يمده الله بنوره فيزداد إيماناً إلى إيمانه ويقيناً إلى يقينه فيسكن قلبه للحق ويطمئن به.

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم لذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

وإذا اطمأن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى وأخذ سبيله إليه دون أن تلفته عنه نوازع الهوى ولا دوافع الشهوة.

ومن ثم عظم أمر الذكر وجل خطره في حياة الإنسان ومن غير المعقول أن تتحقق هذه النتائج بمجرد لفظ بلفظه اللسان فإن حركة اللسان قليلة الجدوى ما لم تكن مواطئة القلب وموافقة له.

وقد أرشد الله سبحانه إلى الأدب الذي ينبغي أن يكون عليه المرء أثناء الذكر فقال: «واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين» والآية تشير إلى أنه يستحب أن يكون الذكر سراً لا ترتفع به الأصوات.

وقد سمع رسول الله ﷺ جماعة من الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار فقال: «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً. إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

كما تشير الآية إلى حالة الرغبة والرهبة التي يحسن بالإنسان أن يتصف بهما عند الذكر.

ومن الأدب أن يكون الذاكر نظيف الثوب طاهر البدن طيب الرائحة فإن ذلك مما يزيد النفس نشاطاً.

ومن الأدب أن يستقبل القبلة ما أمكن فإن خير المجالس ما استقبل به القبلة.

(بقية ص ٨)

رأيهم لا يزالون في هم دائم وفكر مستمر. وقد حرمهم الله تعالى الفوائد رغم توافر أسبابها ومن النعم رغم وجود مقوماتها وقد قال: هؤلاء مثل ما قال الأولون إنما البيع مثل الربا. وساروا على نهجهم واتبعوا طريقتهم. ثم هو مخرب البيوت ومزيل الرحمة من القلوب ومولد العداوة بين الأغنياء والفقراء.

فإنه يضعف التعاطف والتراحم بل لا هم للأغنياء إلا ابتزاز أموال الفقراء بكونهم كالذئاب كل واحد ينتظر الفرصة التي تمكنه من افتراس الآخر وأكله فخلت القسوة محل الرحمة حتى أن الفقير ليموت جوعا في البلاد التي يتعامل أهلها بالربا ولا يجد من من يجود عليه بما يسد رمقه فمنيت تلك البلاد بالانهيار الاقتصادي والركود التجاري والبطالة لذلك جاء الإسلام بتحريم التعامل بالربا ليكون كل واحد من المسلمين عوناً لأخيه. لاسيما عند شدة الحاجة إليه والله لا يشرع للناس الأحكام بحسب أهوائهم وشهواتهم كأصحاب القوانين ولكن بحسب المصلحة الحقيقية العامة الشاملة وهو أعلم بمصالح عباده. (يتبع)

من مفردات القرآن

— ١ —

سورة البقرة

بقلم الأستاذ

محمد جميل غازى

• هذه [فصول] فى التفسير ..
• و [نقول] عن تراجمة القرآن ..
• و [محـــاولة] جديدة لفهم القرآن الكريم ، على ضوء [اللفظ المفرد] .

ألـــم .

• فى القرآن الكريم تسع وعشرون سورة ، افتتحت بحروف مقطعة ، هى : البقرة ، آل عمران ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، الرعد ، إبراهيم ، الحجر ، مريم ، طه ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، يس ، ص ، غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، ق ، ن .

ومن هذه السور ما هو مكى ، ومنها ما هو مدنى .

فالمكى منها : الأعراف ، يونس ، هود يوسف ، إبراهيم ، الحجر ، مريم ، طه ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، يس ، ص ، غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، ق ، ن .

والمدنى منها : البقرة ، آل عمران ، الرعد .

• وتشترك بعض هذه السور فى صورة الحروف التى بدئت بها ، مثل :

[الم] فقد بدئت بها : ١) البقرة . ٢) آل عمران ٣) العنكبوت ٤) الروم ٥) لقمان .

و [الر] بدئت بها سور : ١) يونس ٢) هود ٣) يوسف ٤) إبراهيم ٥) الحجر .

و [طسم] بدئت بها سورتا : الشعراء والقصص .

و [حم] كانت بدءاً لست سور ، هى : ١) غافر ٢) فصلت ٣) الزخرف ٤) الدخان ٥) الجاثية ٦) الأحقاف .

• وقد اختلف القراء فى عد هذه الفواتح آيات أو أبعاض آيات :

فذهب الكوفيون إلى أن :

[ألم] آية حيثما وقعت ، وقيل : فى [آل عمران] ليست بآية و [ألمص] آية .

و [ألمر] لم تعد آية .

و [الر] ليست بآية فى شىء من سورها الخمس .

و [طسم] آية فى سورتيها .

و [طه] و [يس] آيتان .

و [طس] ليست بآية .

و [حم] آية فى سورها كلها .

و [كهيعص] آية .

و [حم عسق] آيتان .

و [ص] و [ق] و [ن] لم تعد واحدة منها آية .

وقد قيل : إن جميع الفواتح آيات - عند الكوفيين - فى السور كلها ، بلا فرق بينها ، وأما من عداهم فلم يعدوا شيئاً منها آية .

• ومن عجيب أمر هذه الفواتح أن الله تعالى أورد فيها نصف حروف المعجم - أربعة عشر حرفاً - وهى :

الألف - والحاء - والراء - والسين - والصاد - والطاء - والعين - والقاف - والكاف - واللام - والميم - والنون - والهاء - والياء .

• وقد جاء فيها من الحروف المهموسة[1] نصفها ، وهى : [ح ، ه ، ص ، س ، ك] .

• ومن الحروف المجهورة الثمانية عشر نصفها ، وهى : [ل ، ن ، ى ، ق ، ط ، ع ، أ ، م ، ر] ومن الحروف الشديدة[2] نصفها ، وهى : [أ ، ق ، ط ك] .

• ومن الحروف الرخوة نصفها ، وهى : [ح ، م ، س ، ع ، ل ، ى ، ن ، ص ، ر ، ه] .

• ومن الحروف المطبقة[3] نصفها ، وهى : [ص . ط] .

وبقية الحروف وهى ٢٤ حرفاً تسمى

---

(١) الحروف المهموسة ، هى : ف ، ح ، ث ، ه ، ش ، خ ، ص ، س ، ك ، ن .
(٢) الحروف الشديدة . هى : أ ، ج ، د ، ت ، ط ، ب ، ق ، ك .
(٣) الحروف المطبقة ، هى : ص ، ض ، ط ، ظ .

مفتتحة ، ونصفها ، وهو ١٢ فى الفواتح . .
قال صاحب كتاب فتح البيان [1] :

[وهذا التدقيق لا يأتى بفائدة يعتد بها ، وبيانه : أنه إذا كان المراد منه إلزام الحجة والتبكيت ، لقال لهم : هذا القرآن من الحروف التى يتكلمون بها ، وليس من حروف مغايرة لها ، فيكون هذا تبكيتاً وإلزاماً يفهمه كل سامع منهم ، من دون إلغاز وتعمية] .

[ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التى تركبت لغة العرب منها ، وذلك النصف مشتملا على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة بتلك الأوصاف هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلى ولا لإسلامى ، ومنكر ولا مسلم ولا معارض ولا يصلح أن يكون من مقاصد الرب سبحانه الذى أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به] .

ونحن نوافقه فى بعض كلامه ، ونخالفه فى بعضه الآخر .

نوافقه فى أن هذه الحروف ، وما اتصفت به من أوصاف ، وما انتصفت عليه من أنصاف ... لا تفيد فى حد ذاتها فى خطاب المنكرين ؛ خاصة وأن هؤلاء المنكرين لم يعرفوا لهذه الحروف هذه الخصائص ! !

لكننا نقول : إن القرآن لم ينزل لجيل واحد ، ولا لأمة من الناس مضت وانقضت . إنما نزل لكل الناس فى كل العصور ، وإلى قيام الساعة .

وكلما مر الزمان ، وتقدم العلم ؛ اكتشف الناس فى هذا الكتاب فتوناً لا تنتهى من الإعجاز ، ومنها ما نحن بصدده ...

إننا نتساءل : من أين لرجل أمى أن يأتى بحروف ، لها هذه الصفات والخصائص ؟

● وما زالت هناك دراسات وبحوث تجرى على هذه الحروف ..

ومنها بحوث (الكترونية) قام بها بعض العلماء .

وانتهوا منها إلى ما يؤكد أن الحروف المقطعة فى أوائل السور ، هى أكثر الحروف شيوعاً فى السورة نفسها .

فمثلا : [الم] أثبت (البحث الالكترونى) أنها أكثر الحروف وروداً فى سورة البقرة ، وهكذا سائر السور المفتتحة بهذه الحروف نفسها .

---

(١) حسن صديق خان ص ٤ ، ج ١ .

كذلك أثبت (البحث الألكترونى) أن الهمزة هى أكثر الحروف شيوعاً فى السورة ، ثم تليها اللام ، ثم الميم .

• وما أثبته (البحث الألكترونى) الحديث ؛ أثبته اللغويون القدماء للقرآن الكريم ، من أمثال الزمخشرى والخازن والنسفى والبيضاوى والخطيب وغيرهم .

* * *

• وكل حرف من الحروف المقطعة فى أوائل السور ينطق به نطقاً مستقلا مرتلا ، هكذا : ألف . لام . ميم ...

وقد فهم بعض المفسرين المعاصرين[1] من هذا الأسلوب فى نطق الحروف المقطعة أنها ترسم لمرتل القرآن أسلوباً خاصاً فى التلاوة ، فيقرأ الكلمات قراءة مستأنية يأخذ كل حرف مكانه على لسان القارىء ، كما أخذت حروف هذه المفتتحات وضعها المستقل على لسانه فى أناة وتقطيع ، حرفاً .. حرفاً ..

وبهذا يتحقق الأداء السليم لتلاوة القرآن كما يقول الله تعالى : (٧٣ : ٤ ورتل القرآن ترتيلا) ويقول : (١٧ : ١٠٦ وقرآناً فرقناه لتقرأه الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) .

وقد روى البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : « كانت مداً » - ثم قرأ ، أى أنس - « بسم الله الرحمن الرحيم » يمد « الله » ويمد « الرحمن » ويمد « الرحيم » أى : أنه يمثل بهذا الأسلوب القراءة التى كان يقرأ بها النبى الكريم .

* * *

• وقد وقف المفسرون أمام هذه الفواتح دارسين متأملين ، وخرجوا علينا بحصاد هائل من البحوث والآراء ، يمكننا أن نرجعها إلى إتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول :

هو أن هذه الفواتح علم مستور ، وسر محجوب استأثر الله بعلمه ، ونسبوا إلى أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : « لله فى كل كتاب سر ، وسره فى القرآن أوائل السور » كما نسبوا إلى على رضى الله عنه أنه قال : « إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى » . ونسبوا إلى

---

(١) الاستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه : (التفسير القرآنى للقرآن) جـ ١ ص ٢٣ وما بعدها .

الشعبي أنه سئل عن هذه الحروف فقال : « سر الله فلا تطلبوه » . ونسبوا إلى ابن عباس قوله : « عجزت العلماء عن إدراكها » .

وأكاد أتوقف عن قبول هذا الاتجاه .

لأن الله تعالى يقول : (٤٧ : ٢٤ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ، ويقول : (٢٦ : ١٩٣ وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) .

فهذه الآيات - وغيرها كثير - تفيد أن القرآن إنما أنزل للتدبر ، فكيف يمكن التدبر في كتاب غير مفهوم .. !؟

وكيف يكون بلسان عربي مبين ، وهو ملىء بالأسرار التي عجزت العلماء عن إدراكها ؟ !!

الاتجاه الثاني :

وتمثله عدة آراء :

الرأي الأول : أنها أسماء للسور ،

وقد عورض هذا الرأي من وجوه :

١ - أنا نجد سوراً كثيرة اتفقت في التسمية بـ [ألم] و [حم] والمقصود من التسمية رفع الاشتباه .

٢ - لو كانت أسماء لاشتهرت وتواترت ، لكن السور اشتهرت بغيرها : كالبقرة وآل عمران .

٣ - العرب لم يتجاوزوا بما سموا به مجموع اسمين نحو : معد يكرب ، ويعلبك ، ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء ، وأربعة ، وخمسة !

وقد أجيب عن الاعتراض الأول بما يجاب به عن الأعلام المشتركة .

وعن الاعتراض الثاني : أنه لا يبعد أن يصير اللقب أكثر شهرة من الاسم الأصلي فكذا ههنا .

وعن الاعتراض الثالث : أن التسمية بثلاثة أسماء خروج عن كلام العرب ولكن إذا جعلت اسماً واحداً ؛ فأما إذا كانت منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار .

وقد ذهب إلى هذا الرأي أكثر المتكلمين ، واختاره الخليل بن أحمد وسيبويه قال القفال : وقد سمت العرب بهذه الحروف أشياء : فسموا بـ [لام] والد [حارثة بن لام الطائي] وكقولهم للنحاس [صاد] وللنقد [عين] وللسحاب [غين] وقالوا : جبل [قاف] وسموا الحوت [نوناً] !!

يقول صاحب تفسير المنار[1] : [ألم] هو وأمثاله أسماء لسور المبتدأة به، ولا يضر وضع الاسم الواحد كـ [ألم] لعدة سور ، لأنه من المشترك الذى يعين معناه ، اتصاله بمسماه .

• الرأى الثانى :

أنها حروف أقسم الله تعالى بها ، قاله ابن عباس وعكرمة .

يقول ابن قتيبة : ويجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها ، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل : تعلمت : أ ب ت ث وهو يريد سائر الحروف ، وكما يقول : قرأت الحمد - يريد فاتحة الكتاب - فيسميها بأول حرف منها .

وإنما أقسم بحروف المعجم لشرفها ، ولأنها مبانى كتبه المنزلة ، وبها يذكر ويوحد .

قال ابن الأنبارى : وجواب القسم محذوف تقديره : وحروف المعجم لقد بينت لكم السبيل ، وأنهجت لكم الدلالات بالكتاب المنزل ، وإنما حذف لعلم المخاطبين به ، ولأن فى قوله (ذلك الكتاب لا ريب فيه) دليلا على الجواب .

• الرأى الثالث :

أنه أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها ، والمعنى : أنه لما كانت الحروف أصولا لكلام المؤلف ، أخبر - سبحانه - أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف قاله الفراء والمبرد وتعلب والزمخشرى وابن الجوزى ، وذهب إليه بعض علماء الحديث كشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزى .

فإن قيل : إن الكفار يعلمون أن القرآن مؤلف من حروف فما الفائدة فى إعلامهم بهذا ؟

أقول : إنه - سبحانه - نبه بذلك على إعجازه ، فما دام القرآن من هذه الحروف التى تؤلفون منها كلامكم ، فما بالكم تعجزون عن معارضته ؟

• وقد تحدى القرآن جماهير المشركين أن يأتوا بمثله ، أو بمثل عشر سور منه ، أو بسورة واحدة ، فعجزوا ، وانقلبوا خاسئين خاسرين .

ففى سورة الإسراء : (١٧ : ٨٨ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

---

(١) رشيد رضا جـ ١ ص ١٢٢ .

وفى سورة هود : (١١:١٣ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) .

وفى سورة يونس: (١٠:٣٨ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) .

وفى سورة البقرة : (٢ : ٢٣ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) .

فتحدى الله الناس بالقرآن فى جملته فى آية هود ، ثم تحداهم بسورة واحدة فى آيتى يونس والبقرة .

إن الحروف المقطعة فى أوائل السور هى نفس الحروف التى يصوغون منها أشعارهم ، وينقلون بها أخبارهم ، ويتواصون بها فى أمور دنياهم ؛ فما بالهم لا يستطيعون أن يصوغوا منها قرآنا كهذا القرآن ، أو ينظموا منها سورة من سوره ..؟!

وأكاد أميل إلى هذا الرأى وأختاره ... ولا يمنعنى هذا من اختيار الرأيين السابقين أيضاً . . فتكون الآراء الثلاثة صحيحة ، ولا تعارض بينها ...

الاتجاه الثالث :

وهو اتجاه أسطورى خرافى ؛ أذكره هنا للتنبيه إليه ، ولتحذير جماهير المسلمين من التورط فى قبول مثل هذه الآراء السقيمة التى شحنت بها كثير من كتب التفسير .

— ومن هذه الآراء الأسطورية : أن الحروف المقطعة فى القرآن هى اسم الله الأعظم !! ومن عجيب الأمر وغريبه أن ينسبوا هذا الرأى إلى على وابن عباس رضى الله عنهم !!

— ومنها : أنها حروف دالة على أسماء أخذت منها ، وحذفت بقيتها ، فمثلا : [الم] الألف ترمز إلى [الله] واللام إلى [جبريل] والميم إلى [محمد] !!!

— ومنها : أنها حروف دالة على أسماء الله الحسنى ؛ فالألف مفتاح اسمه [الله] واللام [لطيف] والميم [مجيد] !!!

— ومنها : ما نسبوه إلى ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : [الم] أنا الله أعلم ، وفى قوله : [الر] أنا الله أرى ، وفى قوله [المص] أنا الله أعلم وأفصل .

— ومنها : أنها أسماء الله تعالى ، ونسبوا إلى على رضى الله عنه أنه كان يدعو : يا كهيعص ، يا حم عسق !!!

— ومنها : أنها أبعاض أسماء الله!!!

— ومنها : ما نسبوه إلى سعيد بن جبير من أنه قال : [الر] و [حم] و [ن] مجموعها هو اسم [الرحمن] !!!

— ومنها : أن بعضها من أسماء النبي ﷺ كـ [طه] و [يس] !!

— وزعم بعض الصوفية - وزعم معلية الكذب - :

أن الألف معناها أنا .

واللام معناها لي .

والميم معناها مني !!!

— ومنها : أن هذه الحروف بعد حذف مكررها تشير - إذا حسبت بحساب الجمل - إلى موعد القيامة .

ومجموع هذه الحروف ٩٦٣ ومعنى هذا أن القيامة تكون قد قامت منذ زمن بعيد ، ونحن لا ندري !!

وشيء آخر ، هو : أن حساب الجمل مختلف فيه بين المشارقة والمغاربة .

فالمغاربة يحسبون السين بثلاثمائة والصاد بستين .

بينما المشارقة يحسبون السين بستين والصاد بتسعين !!

ومعنى هذا أن القيامة ستقوم عند المغاربة بعد للمشارقة بفترة طويلة !!

* * *

وإذا كان هناك اتجاه أسطوري لشرح هذه المفتتحات في كتب التفسير القديمة ؛ فإن هناك اتجاها أسطورياً معاصراً لشرح هذه المفتتحات ، نقدم منها هذا النموذج :

يرى بعض المفسرين المعاصرين : أن الحروف في بعض السور بل في معظمها كانت ترمز إلى عدد آيات السور في مرحلة من المراحل ، وقبل ترتيب آياتها نهائياً ، ثم أضيف بعد هذه المرحلة إليها آيات أخرى !!

وهذا يعني - كما يقول محمد عزة دروزة - (١) أن إضافة آيات أو فصول إلى سورة ما مرموز فيها إلى عدد آياتها في مرحلة من المراحل قد أخلت بالرمزية ، وبالتالي قد أفقدتها حكمتها التي علمها الله .

فإذا فرضنا أن ترتيب السور في صورتها النهائية قد تم في حياة النبي عليه السلام وبأمره ، فيكون النبي قد أخل بحكمة الرمزية الربانية ، وحاشاه أن يفعل ، وإذا كان الترتيب قد تم بعد وفاته ، فيرد حينئذ سؤال عما إذا كان النبي ﷺ قد أخبر أصحابه

(البقية على ص ٢١)

(١) التفسير الحديث حـ ١ ص ٤١ .

الرحلة المباركة

بقلم فضيلة الرئيس العام

الشيخ : محمد رشاد الشافعى

لم أكد أصل إلى أرض الوطن بالقاهرة قادماً من تشيكوسلوفاكيا يوم ٣ نوفمبر ١٩٧٤ حتى تلقيت فى اليوم التالى مباشرة من سماحة الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ رئيس إدارات الإفتاء والبحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية برقية يدعونى للسفر إلى الأراضى المقدسة للقيام بالتوعية الإسلامية خلال موسم الحج عام ١٣٩٤ كما يدعو الأخ الشيخ عبد الحليم أبو الاسعاد رئيس فرع المحلة الكبرى .

موافقة جلالة الملك فيصل حفظه الله :

وكانت تلك الدعوة بناء على ما عرضه سماحة الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ على جلالة الملك حفظه الله وموافقة جلالته بدعوة ٧٠ سبعين عالما وداعياً لهذا الغرض النبيل جرياً على عادة المملكة كل عام لتوعية الحجاج خلال موسم الحج .

مبدأ جديد :

ولأول مرة هذا العام تدعو إدارات الإفتاء والبحوث العلمية والدعوة والإرشاد بعض العلماء والدعاة من خارج المملكة ، وتم دعوتى فعلا ودعوة الأخ الشيخ عبد الحليم أبو الاسعاد رئيس فرع المحلة الكبرى كما تم ضم فضيلة الأستاذ الشيخ سيد سابق مدير عام الدعوة بوزارة الأوقاف بأمر سماحة الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ فور علمه بوجوده بالحج ونزلنا جميعاً ضيوفاً على إدارة التوعية الإسلامية التى يرأسها فضيلة الشيخ محمد بن قعود .

حلقات بالتليفزيون والإذاعة :

وقد قام الأخ الشيخ صالح مدير مكتب سماحة رئيس إدارات الإفتاء بإعداد حلقتين بالتليفزيون لى بالاشتراك مع فضيلة الشيخ سيد سابق وأحاديث بالإذاعة السعودية .

محاضرات فى منى والحرم المكى :

كما من الله علينا بإلقاء محاضرات بالحرم المكى ومنى مما أدى إلى التعرف على إخواننا الموجودين بالمغرب والبلدان الأخرى .

مع معالى وزير المعارف السعودية :

وقد تمكنا من لقائين كريمين مع معالى الأخ الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ كان لهما نتائج طيبة للغاية لصالح الجماعة .

أربع منح دراسية بجامعة الرياض وجامعة الملك عبد العزيز بجدة :

وخلال هاتين الزيارتين تمكنت من الحصول على موافقة مبدئية من معالى الوزير شكر الله له بتخصيص ٤ منح دراسية بالجامعتين لأبناء أنصار السنة المحمدية بشرط حصول الطالب على ٧٠٪ فأكثر .

مع سماحة الشيخ عبد الله بن حميد :

وعلى مأدبة سماحة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله بن حميد رئيس الإشراف الدينى بالمملكة تمكنت من الاتفاق مع سماحته على تخصيص بعض المنح الدراسية بمعهد الحرم لأبناء أنصار السنة المحمدية وسماحته معروف بحبه العميق لدعاة التوحيد بصفة عامة وأنصار السنة المحمدية بصفة خاصة .

فى شرف زيارة جلالة الملك :

ثم تحديد موعد للتشرف بزيارة جلالة الملك فيصل فى قصر الحمراء بجده أحد أيام الخميس حيث يتشرف كبار أصحاب السماحة علماء المملكة بزيارة جلالته يوم الخميس من كل أسبوع وألقيت كلمة مناسبة أمام جلالته وقد تفضل بالرد عليها بما هو معهود فى جلالته من حبه للاسلام والإندفاع وراء كل خير لصالح الإسلام والمسلمين .

فى المدينة المنورة :

وفى ضيافة الجامعة الإسلامية .

وقمت بزيارة المسجد النبوى بالمدينة المنورة ومكثت بها ثمانية أيام ونزلت ضيفاً على الجامعة الإسلامية بفندق التيسير بناء على أمر سماحة الشيخ الجليل عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية تكريما لأنصار السنة المحمدية فى شخص .

خمس منح دراسية بالجامعة الإسلامية :

وكان مجلس الجامعة قد خفض المنح الدراسية المخصصة لأنصار السنة المحمدية

بعصر إلى إثنتين بدلا من خمس منح ولكنى تقدمت بطلب لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الذى تفضل فأمر بإبقاء المنح الخمس كما هى - وسماحته معروف بمحبته البالغة لجميع الموحدين بأنحاء العالم الإسلامى وعطفه الشديد عليهم وتوجيهاته الطيبة لهم وتدخله لدى جلالة الملك فيصل - حفظه الله لدعم دعوة التوحيد فى كل مكان .

كرم الضيافة :

ورغم نزولى ضيفاً على الجامعة الإسلامية بالمدينة إلا أننى لقيت من كرم جميع المسئولين ما يعجز اللسان عن وصفه وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد نائب رئيس الجامعة وفضيلة الشيخ عمر بن محمد أمين عام الجامعة والشيخ عبد الله سنيور والشيخ يوسف النافع والشيخ سعد ندا والشيخ عبد الصمد شرف الأساتذة بالجامعة شكر الله لهم جميعاً حسن لقائهم وكرم ضيافتهم .

(بقية ص ١٨)

بمفهوم الرمز ، فإذا لم يكن قد أخبرهم به فإنه يكون قد خالف أمر الله فلم يبين بعض ما أنزل الله عليه ، وحاشاه أن يفعل ، وإذا كان قد أخبرهم به فيكونون قد خالفوه وأخلوا بحكمة الرمزية الربانية معا ، وحاشاهم أن يفعلوا .

بقى هنا فرض ، وهو : أن النبى ﷺ لم يعرف مفهوم رمزية الحروف ، وظل هذا خفياً على جميع الناس إلى أن كشف عنه المفسر الحديث !!

* * *

الزيتون فى غرة المحرم ١٣٩٥ هـ

محمد جميل غازى

تفتيت الحقيقة بداية التحول عنها

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى

الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

أصاب جهاز « التلفزيون » عندى عطل مبهم فلم تظهر الصورة المرتقبة ونظرت إلى الجهاز الجاثم فى مكانه لا يؤدى عمله نظرة استغراب!!

وتحسسته بيدى فخيل إلى أنه لا ينقص شيئاً من آلاته الجلية والخفية.

وأخيراً جاء العامل المتخصص فى إصلاحه واستبدل بجزء تالف منه جزءاً صالحاً، واستأنف الجهاز عمله، وشرع يحقق الفائدة المرجوة منه!.

وقلت فى نفسى: إن الجهاز كله توقف عن أداء رسالته حتى تعاونت أجزاؤه الصغار والكبار على تحقيق وظائفها المنوطة بها!! ولا عجب فقد تتوقف الدبابة عن السير والقتال لقطعة تنقصها فى مقدمتها أو مؤخرتها.

وقد يتعطل مصنع عن الإنتاج تكلف إنشاؤه الألوف المؤلفة من الجنيهات لأنه يفتقر إلى تكملة لا تساوى مائة جنيه!. وهكذا شئون الحياة الأدبية والمادية قد يصيبها عطب فادح لأن شطرها وأغلبها موجود، وبقيتها الأخرى مفقودة عن خطأ أو تعمد.

ومن ثم ترى أمامك أشياء صالحة، ولكنها قليلة الجدوى لأنها مبتورة، وماتتم قيمتها وتبرز ثمرتها إلا إذا زادت الحياة فيها وفيما يكملها، وعندئذ ينطلق التيار فى دائرته المغلقة فيسطع النور.

إن تعاليم الإسلام كذلك، لا تصلح الحياة وتقيم المجتمعات إلا على النحو الذى شرحنا.. وعناصر الوحى التى تشبه عقاقير الأدوية لا يتم الشفاء بها إلا إذا أخذناها كما جاءت. أما إذا طرحنا عقاراً وتناولنا آخر فلن يذهب لنا سقام، وقد وجدت أن كثيراً من علل المسلمين الفكرية والنفسية، بل عللهم الاقتصادية والسياسية ترجع إلى أنهم

يجدون من بعض النصوص ويهزلون من بعضها الآخر، فلا يحصدون من هذا التناقض إلا ضياع النصوص كلها.! ولا يقيدون من النصوص التي عملوا بها - فيما يزعمون - شيئاً طائلا! لأن وجودها المنقوص في المجتمع كوجود جهاز التلفزيون الذي سقت لك خبر عطله أول هذا المقال.

تأمل معي هذا الحكم الشرعي في فرع من فروع الفقه الإسلامي، لقول الله تعالى:

﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا.. ﴾

إلى هنا يمكن تقدير الحكم العملي في شأن يتصل بكيان الأسرة، وربما لا يشغل العلماء أنفسهم عند تقرير الحكم بأبعد من ذلك عند إيراد النص.

أفهذا ما فعل القرآن الكريم؟ لا، لقد أعقب ذلك بخمس جمل تتضمن فنوناً من النصح والتأديب والتربية يضيع المجتمع إن أضاعها.

فقال جل شأنه:

(١) « ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه »

(٢) « ولا تتخذوا آيات الله هزوا »

(٣) « واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به »

(٤) « واتقوا الله »

(٥) « واعلموا أن الله بكل شيء عليم »

وعندما توجد في بلادنا أحكام الطلاق ولا توجد معها بقية المعاني التي صاحبتها في هذه الآية فسوف يلعب بكتاب الله ولن تزيد الأمة إلا خبالا..!!

خذ مثلا آخر، لقد نهى الإسلام عن السرقة، وأمر بقطع يد السارق، بيد أن هذا الحد من حدود الإسلام يكون خيراً وبركة مع إحياء أوامر الله كلها وإقامة شعب الإيمان الكثيرة التي تسد بقينا كل ثغرة، وتمنع أي غبن، وتطارد آفات البطالة والجوع عند البعض. وآفات الحيف والنهب والسرف عند البعض الآخر.

أما مع رفع كل رقابة عن طريق الاكتساب وإتاحة الثراء من شتى الوجوه الحرام، وإيقاع الضعاف في مقابيل البأساء والضراء، فالأمر يحتاج إلى تبصر في التطبيق.

ومعاذ الله أن نتريث في إقامة حد من حدود الله، ولكنا نقول مقالة الحسن، وقد رأى الشرطة تقبض على لص فقال: سارق السر يسعى به إلى سارق العلانية..!!

وما كذلك دين الله.

وسمعت متحدثاً فى الدين يذكر أنه لاحدود للمهر ، ويستشهد بقصة المرأة التى اعترضت عمر بن الخطاب لما أراد تقييد المهور.

والقصة صحيحة ، ولكن المتحدث قليل الفقه فى الإسلام ، ضعيف الشعور بمآسى المسلمين اليوم !! إن جمهرة الشباب ألفت أن تقضى صدر عمرها ولا أقول شطره فى التسول الجنسى والانحراف الشائق وكل تعسير للحلال سيتبعه ضمنا تيسير للحرام .

فكيف يلقى فقيه ربه بإقرار هذه الحال أو إقرار ما يؤدى إليها يقينا ؟؟

إن قصة عمر مع المرأة المعترضة تفهم فى جو كان الرجل يستطيع الزواج فيه مثنى وثلاث ورباع . وكان الحرام يقع فلتات نادرة أو استثناء من قاعدة عامة .

أما اليوم فإن العرف السائد بين جماهير المسلمين من الزواج والمهور والهدايا لاصلة له بتقوى الله ، ولا إشاعة الاستعفاف ، ولا إقرار الطهر النفسى والاجتماعى .

إنه عرف يقوم فى جملته على رذائل الرياء ، والكبرياء ، ورغبة أسر كثيرة فى الانتفاخ والتعاظم.. إن الإسلام كل لا يتجزأ والشبكة التى تنسخ تعاليمه الدقيقة تفقد جدواها عندما تخرق من جانب واحد ، فكيف إذا تعددت فيها الخروق وتفاحش الإهمال والتلف ؟

والواقع أن هجر بعض الأحكام الاسلامية وإلف بعضها الآخر هدم لمبدأ السمع والطاعة المأخوذ على جماعة المؤمنين .

فإن تقسيم الوحى الإلهى على هذا النحو لا يعدو أن يكون تحكيما للهوى الشخصى فيما ورد ، فما أعجبنا قبلناه وما لم نستسغه رفضناه.

وهذا قريب من مسلك المشركين أنفسهم مع رسول الله ، فإنهم لم يردوا كل ماجاء به ، بل وافقوه على البعض وحاربوه على البعض الآخر ، ولذلك أمره الله بالثبات على الكل وقال:

« فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا : لولا نزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، إنما أنت نذير ، والله على كل شىء وكيل »

واتباع الهوى فى استبقاء حكم وإطراح آخر معناه أن ما استبقى ليس لأن الله أمر به فقد أمر بغيره كذلك فلماذا ترك ؟

فمعناه أن ما استبقى ظفر بالحياة لأنه أرضى رغباتنا فقط ، ولو صادمنا لطوحنا به هو الآخر

وقد نبه القرآن الكريم إلى أن فساد بنى إسرائيل نشأ مع هذا العوج فقد أخذت عليهم المواثيق بأمور سواء . ففعلوا بعضها ، وتناسوا بعضها ، لأنهم يتصرفون وفق شهواتهم ولا يرتبطون بأمر الله ونهيه .

فكان التعقيب الإلهي على هذا السلوك « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون »

الأمة الإسلامية اليوم موزعة على عشرات الدول ، وأمر الإسلام فى كل دولة منها يستحق الدراسة. ويؤسفنى أن أقول : إنى لم أره مكتمل الشكل والموضوع فى قطر من أقطار الفيحاء .

هناك مجتمعات لاتعترف بالحدود والقصاص ، ومجتمعات لاتعترف بدساتير الحريات والحقوق ومجتمعات لاتعترف بالحلال والحرام وأخرى تترك الصلاة والصيام وأخرى .. الخ

وأعداء الإسلام كلما رأوا جزءاً منه أصابه الشلل سارعوا بالتدخل الماكر ليزيدوا الطين بلة ، أوليزيدوا المريض علة .

ونحن نصرخ بأولئك المسلمين المفرطين أن يرجعوا إلى دينهم كله ، لايدعون منه شيئاً ، ولايفرطون فى جانب ، ولا يأذنون لعدو ساخر ، ولا لصديق جاهل أن يصرفهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، فذاك وحده طريق النصفة والانتصار .

إن شعب الإيمان التى تبلغ السبعين موزعة توزيعاً دقيقاً على الدائرة الرحبة التى تمتد إليها وظيفة الإيمان وتنتشر فيها أشعته.

ولما كان الاسلام علاقة تشمل النفس والمجتمع والدولة ، وتتناول المعاش والمعاد فى إطار من معرفة الله ورقابته فإن تعاليمه تشبه شبكة الأعصاب المبسوطة فى الكيان الإنسانى كله لاتخلو منها جلدة بين الرأس والقدم .

قال تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »

ومن الخطأ تصنيف تعاليم الإسلام على أساس فنى ، وتصور أن بعضها يقوى وينمو فى حين أن بعضها الآخر يذبل ويذوى .

إن ذلك قد يجوز فى عالم الدراسات النظرية حيث ينجح الطالب فى مادة ويرسب فى الأخرى لأنه استوعب الأولى وأهمل الثانية .

أما فى المجتمع الكبير فإن اعتلال بعض الاسلام ينقل العلة إلى البعض الآخر على عجل ، أوعلى مهل ما لم تسارع بالاستشفاء والتصون وإنفاذ أوامر الله فى كل مجال .

فضعف العقيدة مثلا ليس يترك أثره الردىء فى صلة المسلم بربه بل يتعدى ذلك إلى موقف الفرد من الجماعة ، وموقف

البقية على ص ٢٩

المغنى السياسى

فى دعوة الاسلام المرأة إلى الاحتشام

للدكتور إبراهيم هلال

دكتوراه فى الفلسفة الإسلامية من جامعة القاهرة

إن سعادة الفرد وهناءته هى ماتدور عليه دعوة الإسلام فى كل أمر يأمر به أو نهى ينهى عنه أو عمل محبب يرغب فيه. فإذا دعا الإسلام إلى وجود عزة وقوة للمسلمين كما قال: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)، فإنما يقصد بذلك أن تنعكس هذه العزة على أفراد الأمة فرداً فرداً حتى يعيشوا فى أمان وفى بحبوحة من العيش، وعز من السلطان.

وطبيعى أن تكون سياسة الإسلام فى كل أمر ونهى إنما هى تخطيط للوصول إلى المجد ورسم لطرق العزة والرفاهية.

ولننظر معاً كيف أن احتشام المرأة فى الإسلام والتزامها الحجاب معنى سياسى إلى جانب كونه معنى دينياً واجتماعياً.

ذلك أن الإسلام ينظر إلى المرأة ووجودها فى المجتمع من زاويتين:

الزاوية الأولى أنها أم وربة بيت كما قال الرسول ﷺ «والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة رعيتها». وهنا تكمن الأهمية الخطيرة للمرأة، ولذلك أمرنا الرسول ﷺ بحسن اختيارها فقال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك».

فهى راعية ورعايتها أكثر ماتنصرف - حسب العرف وماتواضع عليه الناس من بدء الخليقة - إلى أولادها. فإذا كانت أماً صالحة، شب أولادها على الفضيلة والعفاف والتقوى وهنا نجدنا أمام مجتمع مسلم بمعنى كلمة الإسلام. وإذا كانت غير ذلك فإن أبناءها سيخرجون حتماً إلى المجتمع، بكل صنوف الشرور والآثام. وبكل سلبية أمام قضايا الدين والوطن.

فنحن لانتصور أن امرأة منهتكة قد نبذت الحجاب الإسلامى، وتزيت بزى الجوارى والإماء تستطيع أن تقدم للأمة أبناء أحراراً، أو رجالاً ذوى خشونة

وشهامة وغيرة على الوطن والدين . وكيف وقد كشفت من جسمها للناظرين ماهو فى حكم الدين وشريعة العقل عورة لاترضى امرأة حرة ذات أصالة وإباء أن تبرزه لغير زوجها ؟ كيف تنزل إلى هذا المستوى وتقدم نفسها منظراً مثيراً لكل فرد وصورة ترى أنها فاتنة الرجال ثم تقدم للمجتمع ابناً متديناً أو فيه ذرة من الخلق والفضيلة أو الرجولة ؟

إنها لاتنتج إلا جيلا متميعا ، مهما أخذته الدولة بأساليب التربية ومهما قدم له المربون والوعاظ - إن استمع إلى المربين أو ارتاد أماكن الوعظ والإرشاد فلن يكون منه إلا التميع والسلبية والاضراب صفحاً عن قضايا الدين والوطن ولن يكون إلا أداة مدمرة لكل مقدسات الأمة الإسلامية ، ومعدل هدم ، لا أداة بناء .

خطب معاوية بن أبى سفيان مرة فى مسجد المدينة فتناول قصة من شعر (وهى مايسمى بالباروكة اليوم) ، وكانت فى يدى حرسى (شرطى) فقال : يا أهل المدينة أين علماؤكم .. سمعت النبى ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول : « إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم » ؟

فهذه إشارة من رسول الله ﷺ إلى أثر المرأة فى المجتمع وأنها إذا انحدرت إلى إلى ماتراه اليوم فإن الهلاك والخذلان لابد وأن ينزل بالأمة ، كما نزل ببنى إسرائيل من قبل .

الهلاك ينزل بالأمة لأنها حرمت جهود المرأة كأم صالحة أو كراعية شفوقة على بنيها وأولادها أمينة مخلصة فى هذه الرعاية وهذه هى الزاوية الأولى التى نظر الاسلام إلى المرأة منها .

والهلاك ينزل بالأمة لأنها تنتقل من جديتها إلى ميوعة وتخنث ، ذلك لأن المرأة أصبحت صورة إغراء ومبعث تحلل واختلطت بالرجل فى زى الأمة فشغل بها عن مهمته فخمدت فيه النخوة وبردت فيه الوطنية ، طالبا فى الجامعة ، وموظفا فى الديوان ، وسائراً فى الطريق فكيف لاتهلك كما هلك بنو إسرائيل .

إن الأمر جد ، وإنه مصير كل فرد ، وإن الأولى لنا أن ننظر إلى احتشام المرأة وحجابها فنفعله ونتمسك به وأن نستمع إلى قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » ، وقوله : « وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن

الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) فتدنى من الجلابيب وتغطى من الرؤوس والصدور (ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أى لا يظهرن إلا ما لا يمكن ستره لضرورات السير والحركة حينما تدعو الضرورة إلى السير والحركة فى حدود إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله والتخلق بالخلق الإسلامى المحض وهذه هى الزاوية الثانية التى نظر الإسلام منها إلى المرأة وطالب بضرورة عفافها وحجابها واحتشامها وأن ذلك ضرورة المجتمع لإقامة المجتمع السليم والأمة القوية .

فى مطلع هذا القرن حيث رأت إحدى الكاتبات الانجليزيات أن الحضارة الأوربية قد جنت على المرأة بما أملته لها فى حياة التحلل والسفور . وأنها بذلك صارت بائسة شقية فى مجتمعها ، بدلا من أن تكون سعيدة كما قد توهم دعاة التحلل والسفور فكتبت هذه الكاتبة الشهيرة تنعى على هذا المظهر المرأة وتتمنى لها أن تكون على صورة المرأة المسلمة كما صورها القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكما كانت عليه المرأة المسلمة فى ذلك الوقت .

ومما قالته هذه الكاتبة فى هذا الصدد :

« ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة وفيها العفاف والطهارة » وهى كلمات ثورية تريد بها هذه الكاتبة المحافظة على عوامل بقاء أمتها وإبعاد أسباب الهلاك عنها ، ولكن هذا القرن لم ينته أو لم يدن من نهايته إلا وقد رأينا هذه الامبراطورية الضخمة والعظيمة فى ذلك الوقت (بريطانيا العظمى) توشك — بهذه السرعة — على الانهيار وأصبحت ولا صوت لها ولا اسم . وهذا هو ماتنبأ به الشيخ محمد عبده فى ذلك الوقت أيضاً حيث تحدث عن حضارة أوربا بما فيها من الأخذ بأسباب العلم والحياة الجادة ، وكل مايعود على الأمة والفرد بالقوة والازدهار ، وضمن هذا الرأى نبوءته بزوال هذه الحضارة وعدم دوامها نظراً لما احتوته من مبادىء التحرر أو التحلل والسفور وما إليها ، وأن هذه بمثابة سوس دفين يظل يعمل فى الخفاء فى جسم هذه الحضارة إلى أن يهلكها من حيث لا تدرى فيصبح أبناؤها وقد رأوا أنهم فى شر مستطير حيما كانوا يظنون أنهم قد بعدوا عن أسباب التحلل والدثور .

ألا إن الأمر جد وماهو بالهزل ، وأن الأيام لا ترحم وأسباب الفناء والتدهور

لاتختلف فهى قوانين كونية (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

ومن القوانين الكونية ، ومن سنة الله أن لاينصر إلا من ينصر دينه .

(ولينصرن الله من ينصره)

فإذا أردت أيتها الفتاة المسلمة أن تتفوق أمتك وأن تعلو ، فعليك بالحجاب والاحتشام ، وإذا أردت أيتها المرأة لنفسك ولزوجك وأولادك حياة مرفهة سعيدة فعليك بالحجاب والاحتشام .

وإذا أردت أيها الرجل لأمتك عزاً ومجداً ولنفسك حرية وأملا فأمر نساءك من زوجة وأخوات وبنات أن يحتجبن .

وإذا أردت أيها الشاب لوطنك نصراً ولأمتك زهواً وفخراً ، فلتعف عما ترى من تلك المباذل المقيتة وتلك المناظر الأثيمة التى يحوطها الخبث ويعلوها الاشمئزاز . ولتعلم أن هذا هو منظر الأمة الرقيقة لا المرأة الحرة الكريمة ولتتجه إلى بناء مجدك ومجد أمتك على الدين والعلم والخلق والشهامة والعفاف .

تفتيت الحقيقة بداية التحول عنها — بقية المنشور على صفحة ٢٥

الدولة من العالم أجمع . وترك الصلاة ليس معصية خاصة فقط . بل هو ذريعة إلى انهيار الأخلاق وانتشار الآثام .

وإهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس برودا فى عاطفة التدين فقط ، ولكنه آية على موت الضمير الاجتماعى ، وتلاشى رسالة الأمة .

فالاستعمار الحديث فى حملته على الاسلام لايقوم بهجوم شامل على كل شىء إنه أذكى من ذلك وأدهى .

إنه يصر على إماتة بعض التعاليم أو سرقتها من الوعى العالم عالماً أن مابقى سيتبع ما أخذ .

ترى هل سنخدع عن ديننا أم ندافع عن كل ذرة منه ؟!!

محمد الغزالى

استدراك

على مقال الحج فى الكتاب والسنة . .

بقلم الشيخ : محمد سليمان محمد عثمان

كتب بعض الإخوة الأفاضل عن الحج فى العدد الماضى فأحسن الكتابة والقول . إذ يقول : الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام .

وأنه فرض عين مرة فى العمر على من استطاع إليه سبيلا . . الخ

ثم أورد الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة والإجماع . . وإلى هنا كلام طيب . . ونقدر للأخ الكريم كلمته القيمة . . ونسأل الله أن يتقبلها منه ، ويؤجره عليها . . وأن ينفعنا بما نعلم وما نقول ، وأن يجعله حجة لنا لا علينا . . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وهذا القدر أيضاً من الكلام لا يختلف فيه إثنان من المسلمين .

غير أننا نلاحظ أن الأخ أوجب على الحاج أن يزور الروضة الشريفة التى فيها قبر رسول الله ﷺ . . وهذا الوجوب لم يقل به أحد من الأئمة السالفين من أصحاب رسول الله ﷺ والذين اتبعوهم بإحسان ، وهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علماً . وأقلها تكلفاً ، وأحسنها طريقة وهدياً ، وهم القدوة الصالحة لنا فى ديننا . . وإنما قال ذلك بعض المتأخرين من مقلدة المذاهب ، الذين جعلوا دينهم غرضاً للخصومات والجدل . .

لاشك أن زيارة مسجد رسول الله ﷺ من نوافل الخير التى يتقرب بها المؤمن إلى الله تعالى . والصلاة فيه تعدل ألف صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام . وهو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها كما فى الحديث الصحيح . فيندب للانسان أن يأتيه إذا وجد سعة من وقته وماله ، فى أى وقت من الأوقات غير متقيد فى ذلك بوقت الحج أو وقت آخر . . أما وجوب الذهاب إلى المدينة فى وقت الحج فلم يقل به إمام من الأئمة السابقين . وكلمة « واجبة »

تلقى فى روع أكثر الناس أن زيارة المسجد النبوى فرض عين يتحتم على كل حاج أن يفعله ، وإلا كان حجة ناقصاً أو مردوداً.. وهذه هى الصورة المرسومة فى أذهان العوام وأشباههم فى بلادنا ، يخلط أحدهم بين الحج الذى هو ركن من أركان الإسلام وبين زيارة المدينة التى هى من الأعمال المستحبة فقط ، فلا يعرف عن الحج شيئاً إلا أنه وضع يده على شباك النبى ﷺ .

هب أن رجلا من ذوى الدخل المحدود مثلا تجمع لديه من المال ما يحج به فقط . واستطاع السبيل إلى ذلك . أفنقول له أخر الحج المفروض عليك إلى أن تجد لك سعة تمكنك من زيارة المدينة ؟ أم نقول له عجل بتأدية الفريضة التى أوجبها الله عليك ؟ لاشك أن التعجيل بتأدية هذا الفرض الذى هو أحد أركان الإسلام هو أولى ، من الاشتغال بأمر مندوب إليه ... وهذا القدر أيضاً متفق عليه بين أئمة الإسلام « والله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة » .

وهذه الفضيلة لزائر المدينة : إنما تثبت له إذا سافر بقصد الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ بالقصد الأول ، ثم الذهاب بعد ذلك إلى قبر رسول الله ﷺ للسلام عليه وعلى صاحبيه . تبعاً لهذا القصد بحكم وجوده هناك .. أما شد الرحال لمجرد زيارة القبر دون أن يكون قصده الأول هو مسجد رسول الله ﷺ . الصلاة فيه فهذا مالم يفعله أحد من سلف هذه الأمة على عهد صحابة رسول الله ﷺ . وتابعيهم بإحسان ، بل قد كره كثير من الأئمة شد الرحال إلى مجرد القبر كالإمام أبى محمد الجوينى والد إمام الحرمين ، وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام مالك رحمهم الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية « الذى تضافرت به النقول عن السلف قاطبة وأطبقت عليه الأمة قولا وعملا هو السفر إلى مسجده المجاور لقبره ، والقيام بما أمر الله به من حقوقه فى مسجده كما يقام بذلك فى غير مسجده ، لكن مسجده أفضل المساجد بعد المسجد الحرام عند الجمهور ، وقيل إنه أفضل مطلقا كما نقل عن مالك وغيره ، ولم يتطابق السلف والخلف على إطلاق قبره ولا ورد بذلك حديث صحيح ، ولا نقل معروف عن أحد من الصحابة ولا كان الصحابة المقيمون بالمدينة من المهاجرين والأنصار إذا دخلوا المسجد وخرجوا منه يجيئون إلى القبر ويقفون عنده . وقد ذكر القاضى عياض عن مالك

أنه كره أن يقال زرنا قبر النبي ﷺ .

وذكر عن مالك أيضاً أنه ليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر ، وإنما ذلك للغرباء .. وقال مالك فى المبسوط أيضاً : ولا بأس لمن قدم من سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ ويدعو له ولأبى بكر وعمر ، قيل له : فإن ناساً من أهل المدينة لا يقمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك مرة أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ولم يبلغنى هذا عن أهل الفقه ببلدنا ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها » .

هذا ما صح عن مالك أنه لم يبلغه عن أحد من الصحابة أنهم كانوا يفعلون ما يفعله المتأخرون . فقد قال رسول الله ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » وقال : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقال : « لا تتخذوا قبرى عيداً » إلى غير ذلك من الأحاديث فى هذا المعنى .

وبهذا يعرف أن الأحاديث التى وردت بخلاف هذا المعنى مثل حديث « من وجد سعة ولم يزرنى فقد جفانى » وحديث « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » إلى غير ذلك من الأحاديث التى أوردها الكاتب .

إنها أحاديث منكرة وأسانيدها ساقطة مظلمة حكم عليها أئمة النقد بالوضع . وإلى هنا نكتفى بهذا القدر لضيق المقام ، ولنا عودة إلى استكمال بقية البحث نبين فيها بالتفصيل ما قاله أئمة الحديث فى تلك الأخبار التى أوردها الكاتب إن شاء الله . هذا وقد جاءنا مثل هذا الاستدراك من الأخ الشيخ يوسف محمد سليمان عضو الجماعة فرع أسوان

تهنئة حارة

للدكتور الأستاذ إبراهيم هلال عضو مجلس إدارة المركز العام

نوقشت يوم الإثنين الموافق ٨ محرم سنة ١٣٩٥ - ٢٠ يناير سنة ١٩٧٥ رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الأستاذ إبراهيم هلال إلى كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - وهى بعنوان (المعرفة الإشراقية ونظريتها إلى النبوة) وقد أجيزت هذه الرسالة بمرتبة الشرف الأولى . ورئيس جماعة أنصار السنة . وجميع أعضائها يتقدمون إلى أخيهم وزميلهم الدكتور إبراهيم هلال بأجمل التهانى وأعذب التمنيات راجين المولى القدير أن يوفقه إلى ما فيه خير الجماعة والإسلام

محمد عبد المجيد الشافعى

القرآن وإعمال العقل

بقلم الأستاذ : أحمد جمال العمري
ماجستير في الأدب العربي

الحمد لله .. الواحد الديان خلق الإنسان ، وأنار قلبه إلى فهم معاني القرآن ، وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل واللسان ، ودعا إلى البحث والتفكير ، ومنح عباده حرية التعبير ، نحمده ونوحده ، ونجله وننزهه ، سبحانه تجلت قدرته ، وعظمت حكمته ...

والصلاة والسلام على من دعا بدعوة التوحيد ، وحمل إلى البشرية تعاليم دينها الجديد ، فكان هاديا ونذيرا ، وسراجاً منيراً ، وعلى آله وصحبه ومن آمن بدعوته وسقته إلى يوم الدين .. وبعد :

فحين نزل دستور السماء على قلب نبي الله المصطفى ﷺ ، خاطب عقول الناس قبل قلوبهم ، وقدم إليهم البراهين على أنه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وكانت الدعوة الإسلامية ، التي حمل لواءها النبي ﷺ تمثل الديمقراطية الدينية في أجل صورها ومثلها .

لم تفرض عقائدها على الناس فرضا ، ولم تأخذهم بها قصراً ، ولم تأمرهم بالتزامها أمراً ، بل ناقشت وعرضت ، وأثارت الفكر ، وأشعلت التفكير .. لقد احترمت العقل البشري ، وسمت به ، وخاطبته بأجل ما يمكن أن يخاطب به بشر ، وما ذلك إلا ليقتنع المتشككون ، ويطمئن المعتنقون - على أن عقيدتهم الدينية الإسلامية ، إنما تقوم على أساس من العلم المنزل من لدن العليم الخبير .

حين دعا القرآن إلى الإيمان بالله - الواحد القهار - كانت دعوته قائمة على المنطق والعقل والمناقشة ، فما من موضوع قدمه القرآن ، إلا وعرضه على مائدة البحث والمناقشة ، وقدم الدليل عليه .

١ - فلاثبات وجود الله الخالق المصور

يقول القرآن :

« أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » .

« أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه

أم نحن الزارعون » . .

« أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » .

« أفرأيتم النار التى تورون ، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » .

« فسبح باسم ربك العظيم »[1] .

وليس هذا فحسب بل ناقش القرآن أولئك الذين يتخذون من دون الله أربابا وآلهة وأظهر لهم باطل معتقداتهم ، ودفع بالمنطق والحجة والعقل زيف إدعاءاتهم وبهتانهم .

يقول سبحانه وتعالى : « قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ، أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً »[2] .

ويقول أيضاً : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب »[3] .

• ويؤكد القرآن الكريم وحدانية الله بأدلة قاطعة حاسمة لا يتطرق إليها الشك أو التخمين .

« ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون »[4] .

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون »[5]

• وحين بث القرآن عقيدة البعث ، ساق إلى العقل البشرى البراهين تلو البراهين وقدم له الأدلة الساطعة من واقعه المحسوس .

« ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حياً . أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً »[6] .

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيي العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »[7] .

إن دستورنا دستور الحياة . . دستور الناس كافتهم . . جاء يدعو إلى الحق بالحق ، جاء يدعو إلى إعمال العقل ، بعد أن حرره من عبودية الجهل والوثنية ، وفك إسارة

---

(١) من سورة الواقعة . (٢) سورة فاطر الآية ٤٠ . (٣) سورة الحج آية ٧٣ .
(٤) المؤمنون ٩١ . (٥)
(٦) سورة مريم ٦٦- ٦٧ .
(٧) سورة يس ٨ . - ٨٩ .

من قيود الظلم والعبودية .. وجاء يدعو الناس إلى البحث ، ويأمرهم بالنظر ..

« قـــل أنظروا ماذا فى السموات والأرض »(١) .

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون ؟ » .

هذا هو دستورنا .. قرآننا .. كتاب الله الكريم .. ليس كتاب دين فحسب ، بل كتاب علم وفكر وحكمة .. إنه « ذكر حكيم » وتعليم إلهى ، يعلم الناس من الحقائق والأمور ما لم يكونوا يعلمون ..

ولننظر يا أخى المسلم كيف احترم القرآن عقل الإنسان :

١ — لقد انتقل القرآن بالإنسان من مرحلة الإيمان عن طريق المعجزات — كما كان أيام موسى وعيسى عليهما السلام — إلى مرحلة الإيمان القائم على العلم والتدبر ، والتفكير والبرهان . أى على البحث المقنع الذى يؤدى إلى اليقين ..

« وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين .. ، ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقالوا الذين كفروا : إن هذا إلا سحر مبين .. وأقسموا بالله جهد أيمانهم : لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل : إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون »(٣) .

« وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة ، فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً »(٤)

« طسم .. تلك آيات الكتاب المبين ، لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ، إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية ، فظلت أعناقهم لها خاضعين »(٥) .

« وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل : إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين ، أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون »(٦) .

إذن فالقرآن الكريم — يقوم بالنسبة للنبى ﷺ — مقام الآية والمعجزة عند غيره

---

(١) سورية يونس ١٠١ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥ .
(٣) الأنعام الآيات ٤، ١٠٩، ١٠٩ .
(٤) الإسراء ٥٩ .
(٥) الشعراء ١ - ٤ .
(٦) العنكبوت ٥٠ - ٥١ .

من الأنبياء . وما كان ذلك إلا لاختلاف الزمان والمكان . واختلاف طبيعة الإنسان العربي عن غيره من الأقوام[1] . واختلاف لغته وأسلوبه[2] عن اللغات الأخرى ..

٢ — لقد حض القرآن الإنسان حضاً على تدبر آياته ، لأن ذلك سيكون وسيلة إلى الإيمان ..

« أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »[3]

« كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »[4] .

وهنا يقصد القرآن من تدبر آياته ، الاجتهاد والبحث في إدراك حقيقة وقيمة ما تتضمنه آياته من أحكام تتعلق بالحقائق — حقائق الدين والحياة .

٣ — واحترم القرآن عقل الإنسان حين ناداه ، وحثه على ترك التقليد ، وعدم السير وراء البدع التي كان يقوم بها الآباء والأجداد الجاهليون ..

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون »[5] .

٤ — واحترم القرآن عقل الإنسان حين أمره أن يتوخى اليقين ولا يتبع الظن والتخمين :

« وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم به من علم ، إن هم إلا يظنون »[6] .

« وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ، إن الظن لا يغني من الحق شيئاً »[7] .

أرأيت — يا أخي المسلم كيف احترم القرآن عقل الإنسان وقدره ...

هذا هو دستورنا .. يقوم على التوحيد المنزه ، الإيمان كل الإيمان بإعمال العقل ، ليس هناك سبيل إلى الزيف والبدع ، وتأويل المتأولين ، وتشكيك المتشككين .. إنه كلام واضح .. جاء بلغة العرب ، وبما جبل عليه العرب من حسن بيان ، وسرعة فهم ، ودقة حس ، وسرعة خاطر ..

هذا هو دستورنا ...

---

(١) سنفرد لذلك مقالة أخرى قريباً إن شاء الله ، لنوضح لماذا كان القرآن معجزة الرسول الكبرى .

(٢) ذلك أن اللغة العربية الفصيحة تختلف عن اللغة العبرية والقبطية من حيث الفصاحة والبلاغة وجمال الأسلوب ،

(٣) سورة النساء ٨٢ . (٤) سورة ص آية ٢٩ .

(٥) سورة المائدة آية ١٠٤ . (٦) سورة الجاثية ٢٤ . (٧) سورة يونس ٣٦

إخبار الرسول بالمغيبات

لفضيلة الشيخ على صبح المدنى

عجيب أمر هؤلاء الذين يجعلون رزقهم أنهم يكذبون ...

إنهم يكذبون كل شىء .. حتى ما أكدته الأمة ، وأجمعت عليه الأئمة ...

فهم ينفون أحاديث رسول الله ، وينفون معجزاته وينفون حتى إخباره بالمغيبات ...

إنه من السهل على أى إنسان ، أن يكذب أى شىء ، بلا عقل ، ولا نقل ، ولا دليل ...

إن المشكلة ليست أن نكذب ، فنحن أسهل هذا ...

ولكن المشكلة هى أن نقيم الدليل على ما نكذب ...

* * *

وفيما يلى ، حديث عن (إخبار الرسول بالمغيبات) ننقله من أطواء كتب الأحاديث ...

ولا يهمنا أن يكذب قوم ، ألفوا أن يكذبوا كل حق ، وأن يدينوا بكل باطل ..

عن أنس رضى الله عنه قال كان وهب ابن عمير شهد بدراً كافراً فاجتمع هو وصفوان بن أمية فى الحجر فقال لصفوان بن أمية : لولا عيالى ودين على لأحببت أن أكون أنا الذى أقتل محمداً بنفسى فقال صفوان : فكيف تصنع فقال : أنا رجل جواد (أى أحسن ركوب الجياد) لا ألحق آتيه فاغتره ثم اضربه بالسيف ثم ألحق بالجبل ولا يلحقنى أحد فقال له صفوان فعيالك ودينك على فخرج فشحذ سيفه وسمه ثم خرج إلى المدينة لا يريد إلا قتل محمد ﷺ فلما قدم المدينة رآه عمر بن الخطاب فهاله ذلك وشق عليه وقال لأصحاب رسول الله ﷺ إنى رأيت وهباً قدم فرابنى قدومه وهو رجل غادر فأطيفوا بنبيكم ﷺ ، فأطاف المسلمون

بالنبي ﷺ فجاء وهب فوقف على النبي ﷺ فقال أنعم صباحاً يا محمد فقال ﷺ : قد أبدلنا الله خير منها .

فقال عهدي بك تحدث بها وأنت معجب فقال له النبي ﷺ :

= ما أقدمك .

قال جئت أفدي اسارا كم فقال ﷺ

= ما بال السيف .

قال : أما أنا قد حملناها يوم بدر فلم نفلح ولم ننجح قال ﷺ :

= فما شيء قلت لصفوان وأنتما في الحجر لولا عيالي ودين لكنت أنا الذي أقتل محمداً .. وأخبره النبي ﷺ الخبر .

فقال وهب هاه كيف قلت فأعاد عليه ﷺ .

قال وهب قد كنت تخبرنا خبر أهل الأرض فنكذبك فأراك تخبر خبر أهل السماء أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال يا رسول الله اعطني عمامتك .

فأعطاه النبي ﷺ عمامته ثم رجع راجعاً إلى مكة فقال عمر لقد قدم وأنه لأبغض إلى من الخنزير ثم رجع وهو أحب إلى من ولدي .

رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح قاله الهيثمي (مجمع الزوائد ص ٨ ص ٢٨٦، ٢٨٧) .

وأخرجه الطبراني أيضاً بنحوه مرسلا وإسناده جيد انظر ص ٢٨٤ — ٢٨٦ مجمع الزوائد) .

(٢) عن قيس بن أبي حازم عن أبي شهم وكان رجلا بطالا فمرت به جارية فأهوى بيده إلى خاصرتها قال : فأتيت النبي ﷺ من الغد وهو يبايع الناس فقبض يده وقال ﷺ :

= أصاحب الجبيذه امس .

قال فقلت لا أعود يا رسول الله فقال ﷺ :

= فنعم إذاً .

فبايعه النبي ﷺ .

الحديث أخرجه النسائي والبغوي وقال في الإصابة إسناده قوي ج ٧ ص ١٠٠ ترجم رقم ٦٢٠ المطبعة الشرقية ١٩٠٧ .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كلمات اسأل عنهن فقال ﷺ :

= اجلس

وجاء رجل من ثقيف فقال يا رسول الله

كلمات اسأل عنهن فقال ﷺ :

= سبقك الأنصارى .

فقال الأنصارى إنه رجل غريب وأن الغريب حقاً فابدأ به فأقبل ﷺ على الثقفى فقال :

= إن شئت انبأتك عما كنت تسألنى عنه وإن شئت تسألنى واخبرك .

فقال يا رسول الله بل اجبنى عما كنت اسألك فقال ﷺ :

= جئت تسألنى عن الركوع والسجود والصلاة والصوم .

فقال لا والذى بعثك بالحق ما اخطأت مما كان فى نفسى شيئاً قال ﷺ :

= فإذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك ثم فرج بين أصابعك ثم اسكن حتى يأخذ كل عضو مأخذه ، وإذا سجدت فمكن جبهتك ولا تنقر نقراً وصل أول النهار وآخره .

فقال : يا نبى الله فإن أنا صليت بينهما قال ﷺ :

= فأنت إذا مصل وصم من كل شهر ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة .

فقام الثقفى ثم أقبل ﷺ على الأنصارى فقال :

= إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل وإن شئت تسألنى وأخبرك .

فقال : لا يا نبى الله أخبرنى بما جئت اسألك قال ﷺ :

= جئت تسألنى عن الحاج ماله حين يخرج من بيته وماله حين يقوم بعرفات وماله حين يرمى الجمار وماله حين يحلق رأسه وماله وماله حين يقضى آخر طواف البيت .

فقال : يا نبى الله والذى بعثك بالحق ما أخطأت مما كان فى نفسى شيئاً قال ﷺ :

= فإن له حين يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة إلا كتب له بها حسنة أو حط عنه خطيئة فإذا وقف بعرفة فإن الله عزوجل ينزل إلى السماء الدنيا فيقول انظروا إلى عبادى شعثا غبراً جاءونى من كل فج عميق أشهدكم أنى قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج وإذا رمى الجمار لا يدرى أحد ماله حتى يوافاه يوم القيامة وإذا قضى آخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

أخرجه ابن حبان فى صحيحه (انظر حديث رقم ٩٦٣ صحيفة ٢٣٩ من موارد الظمآن المطبعة السلفية .

واخرجه بنحوه الطبرانى فى الكبير والبزار وقال روى هذا الحديث من وجوه ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق .

وقال المنذرى وهى طريق لا بأس بها رواتهم كلهم موثقون (انظر الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٧٧ مطبعة مصطفى الحلبى ١٩٥٤ .

كتاب الحركات السرية فى الإسلام

تفسير ماركسى مرفوض

— ٣ —

بقلم الأستاذ محمد السيد الجليند
أستاذ الفلسفة بكلية دار العلوم

وظل الاتصال قائما بين القرامطة والاسماعيلية إلى أن ادعى سعيد بن الحسين ابن عبد الله القداح أنه الإمام عبد الله المهدى المنتظر الذى بشرت به الباطنية فخرج عليه حمدان القرمطى لأن الداعى الباطنى « الحسين الأهوازى » كان قد لقنه أنهم يدعون إلى إمامة محمد بن جعفر وأنه المهدى المنتظر ، ولما أرسل حمدان إلى سعد بن الحسين ليستوضحه الأمر قال له سعيد القداح إن محمد ابن إسماعيل لا أصل له وأن أبى كان هو الإمام وأنا قائم مقامه . ومن هنا انشق القرامطة على الاسماعيلية وكان سبب هذا الانشقاق دينياً كما كان سبب الاتصال بينهما دينياً أيضا .

ولقد تشكك المؤلف فى هذه الجوانب الدينية والعقائدية من حركة القرامطة ، لأن رواية هذا الجانب جاء على ألسنة أهل السنة وهم متهمون عنده . ولكن هل يمكن التشكيك فى المراسلات التى كانت تدور بين القرامطة أنفسهم حينما كانوا يختلفون على أنفسهم أو حينما كانوا يجمعون أمرهم ليغيروا على المقدسات الإسلامية .

فلقد حدث أن انشق عليهم أحد دعاتهم باليمن وهو (على بن فضل الجدنى) « وانفرد بسلطانه على تلك الناحية فادعى لنفسه النبوة وأنه أتى بشريعة جديدة ناسخة لشريعة محمد الظالمة وانخلع عن كل عقيدة سابقة . فكتب إليه زعيمه « ابن حوشب » وهو داع قرمطى مثله يعاتبه فى ذلك وينقم عليه خروجه على الناموس الذى تواضعا عليه ، فكتب إليه على بن فضل الجدنى قائلا : إنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها ولن يأبى سعيد الجنابى أسوة لأنه خلع ميمونا القداح ودعى لنفسه وأنا أدعو إلى نفسى فإما تنزل على حكمى وتدخل فى طاعتى وإلا خرجت إليك » .

وأخذ ابن فضل يفتخر على أقرانه بشريعته الجديدة التى أبطل فيها شريعة محمد، وأخذ شعراؤه يدعون إليها بقصائدهم حيث وقف شاعرهم على المنبر يخطب فى جنده قائلا :

خذى الدف يا هذه والعبى
وغنى هذا ربك ثم اطربى
تولى نبى بنى هاشم
وهذا نبى بنى يعرب
لكل نبى مضى شرعة
وهذى شرائع هذا النبى
فقد حط عنا فروض الصلاة
وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضى
وإن صوموا فكلى واشربى
ولا تطلبى السعى عند الصفا
ولا زورة القبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسك المعرس
من أقربين ومن أجنبى
فكيف تحلى لهذا الغريب
وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه
وسقاه فى الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء
حلال فقدست من مذهب

أعلن بذلك شاعر القرامطة نبوة على ابن فضل الجدنى، كما أعلن نسخ شريعته لما قبلها من شرائع.

أما عن أبى سعيد الذى تأسى به على ابن فضل الجدنى فى ذلك فهو أبو سعيد الجنابى الداعى القرمطى الباطنى بالبحرين وكان قد انخلع عن الباطنية الإسماعيلية أيضا وادعى لنفسه النبوة وخلفه فى الدعوة من بعده ابنه أبو طاهر الجنابى الذى أخذ يتحين الفرصة وفى غفلة من المسلمين هاجم مكة سنة ٣١٧هـ وقتل وسبى من أهلها الكثير، ولكى يعلن عقيدته ومذهبه فى إبطال الشرائع اقتلع الحجر الأسود الذى يطوف حوله المسلمون فى حجهم وحمله معه من مكة إلى الإحساء وليبطل بذلك فريضة الحج إلى مكة وأخذ يفتخر بذلك ويجرح شعور المسلمين ويقول:

ولو كان هذا البيت فى ربنا
لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهلية
مجللة لم نبق شرقا ولا غربا
وإنا تركنا بين زمزم والصفا
جنائز لا تبغى سوى ربها ربا
ولكن رب العرش جل جلاله
لم يتخذ بيتا ولم يتخذ حجبا

وأخذ رجال أبي طاهر يضرب الحجر ويقول له : كم تعبد في الأرض وآل محمد لا يظهرون. وهنا يتبين أن القرامطة هاجموا مكة واقتلعوا الحجر لاعتقادهم بطلان فريضة الحج. ولقد ظل الحجر الأسود في حوزتهم في هجر عاصمة أبي طاهر اثنتين وعشرين سنة ولم يرد إلى مكة إلا في سنة ٣٣٩هـ حيث رده أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى المزكى. وهذا قليل من كثير كان يفصح عنه القرامطة بينما تتاح فرصة الإعلان عن معتقداتهم. ناهيك بتأويلاتهم لآيات القرآن الكريم وتحريفهم لنصوصه.

ولكن المؤلف لم يلتفت إلى هذا الجانب وهو أساس المذهب القرمطي، وصور لنا أعضاءها بأنهم طبقة مظلومة أخذوا يدافعون عن وجودهم ضد الاستبداد والظلم الذي وقع عليهم من المسلمين والغزاة وأنهم ليسوا سوى حركة اجتماعية لا هدف لها سوى التغيير الاجتماعي، وأريد أن أسأل المؤلف ما هو المعنى الاجتماعي الذي يرمز إليه الهجوم على مكة واقتلاع الحجر الأسود وهو من المقدسات الإسلامية. وما هو المعنى الاجتماعي المقصود من وراء ما عبر عنه شاعرهم بإبطال الشرائع ودعوى النبوة لابن فضل. هل فريضة الحج ظلم اجتماعي حتى يقال إن إبطالها رفع للظلم. هل الإيمان بنبوة محمد ظلم طبقي حتى يقال إن إدعاء النبوة من أحد رفع لهذا الظلم الطبقي؟.

إن هذه الرؤية الماركسية التي فسر من خلالها حركة القرامطة قد اضطرته إلى ركوب كثير من التعسف في حمل الألفاظ على معناها. فهو يتهم الطبري بالتناقض حين روى أنهم أبطلوا غسل الجنابة واكتفوا عنه بالوضوء، فيرى المؤلف إن إحلال الوضوء محل الغسل من الجنابة ليس إبطالا للتكاليف ما دام قد استعاض عنه بالوضوء. وكأن الله لم يأمرنا بقوله « وإن كنتم جنبا فاطهروا ».

كما اتهم الغزالي بأنه لم يستطع أن أن يتحرر من وضعه الطبقي وأنه كان منعما مترفا ربيب بلاط السلاطين السلاجقة وقصور وزرائهم » وهذا يدل على أن المؤلف لم يعرف الغزالي ولم يدر عن حياته شيئا، ولو كلف نفسه قليلا وقرأ كتابه المنقذ من الضلال لكان له رأي آخر غير ماذهب إليه ولكنه فضل الاكتفاء بالتشكيك وتوجيه الاتهامات.

ومن العجيب حقا أن يفسر المؤلف لفظ

« العوام » عند الغزالى تفسيراً طبقيا اجتماعيا ويروى عنه أنه كان يزدرى العوام ويصفهم بالجهل، وأن الغزالى لا يعنى بذلك نعتهم بعدم العلم كما يتبادر إلى الذهن بقدر ما يعبر عن نظرة طبقية استعلائية .

ولو كان المؤلف يهدف إلى حقيقة مقصودة لعرف أن أقصى ما كان يرجوه الغزالى أن يرزقه الله إيمانا كإيمان العوام الذين ادعى المؤلف كذبا وبهتانا أن الغزالى يزدريهم ويسخر منهم .

ومن الظلم والتعسف الواضح أن يقال إن الغزالى كان يقصد بالعوام معنى طبقيا . فالغزالى قد وضع كتابا مستقلا من أجل العوام أسماه « لجام العوام عن علم الكلام » وهذا يدل على عنايته بهم . كما أوضح معنى العامى بما لا يدع مجالا للافتراء أو الكذب فقال وفى معنى العامى : « الأديب والنحوى والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم بل كل عالم سوى المتجردين لتعلم السباحة فى بحار المعرفة القاصدين أعمارهم عليه الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات المعرضين عن الجاه والمال والخلق وسائر اللذات، المخلصين فى العلوم والأعمال المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير الله » هذا هو العامى عند الغزالى كما وضحه هو فى كتبه . ولا أدرى لماذا يفسره المؤلف تفسيراً مادياً أو طبقيا وعلى أى دليل يستند فى هذا التفسير . ولو كان للمؤلف عرف معرفة بالغزالى لعرف حقا أنه لم يوجد بين مفكرى الإسلام من اهتم بالعوام مثل اهتمام الغزالى بهم . ولكن الرؤية الماركسية المشبوهة قد حجبته عن أن يضع الحق فى نصابه فتعامل وتعسف فيما قال وفيما رأى .

وعلى الله قصد السبيل .

محمد السيد الجليند
مدرس الفلسفة المساعد - كلية دار العلوم
جامعة القاهرة

استفتاء وجوابه

يقول محمد تقي الدين الهلالي عفى الله عنه:
جاءني الاستفتاء التالي من شخص اسمه عبد السلام من مدينة القاهرة ولم يستطع الكاتب قراءة عنوانه فأردت أن أجيبه على صفحات مجلة التوحيد لعلها تصل إلى يده فيطلع على الفتوى ويعم نفعها، ونص الاستفتاء

تحية صادقة من إنسان لم تسمع عنه ولكنه قرأ لسيادتكم كتيباً صغيراً باسم البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية وبريء من الألوهية. وقد سعدت بقراءته، فإنه يمكن كل مسلم إذا قرأه أن يدافع عن دينه.

أستاذي: لي أخ في كندا وأرسل لي بعض الأسئلة عن أمور أشكلت عليه ولم يجد لذلك جواباً مقنعاً، منها: لماذا حرم الإسلام أكل لحم الخنزير من دون اللحوم؟ فإن كانت العلة أنه يأكل القمامة فإنه في هذا الزمان يربى بأحدث الأساليب، ويتم الكشف طبياً عليه وخلوه من جميع الأمراض، ويأكل علفاً مجهزاً نظيفاً بطريقة علمية، ومنها أنه

بقلم الدكتور / محمد تقي الدين الهلالي
الأستاذ السابق بالجامعة العربية الإسلامية
بالمدينة المنورة، والمقيم بالمغرب

لا يوجد في قرآن مترجم من قبل مسلم حقيقي، بل المترجمون أجانب، وبذلك يبدو القرآن مفككاً لا ربط بين كلماته. وقد ذهبت إلى المجلس الأعلى الإسلامي في القاهرة ولم أجد قرآناً مترجماً، ولا تفسيراً للقرآن مترجماً يستعين به الذين أرادوا معرفة معاني القرآن بالانكليزية.. فهل أجد في السعودية بلد الإسلام تفسيراً للقرآن باللغة الانكليزية، فإن لم يوجد حتى الآن فمتى يوجد؟ أرسل إليكم كتابي هذا لعلي أحصل على جواب مقنع أبعثه إلى أخي في كندا.

وفقنا الله إلى الخير للأمة الإسلامية آ

الجواب عن السؤال الأول:

الحمد لله رب العالمين الحكيم العليم، الذي أحل لعباده ما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم، وحرم عليهم ما يضرهم، فله الحكمة البالغة، وهو العزيز الحكيم وصل يارب على خير خلقك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاعلم أيها الأخ السائل أن الله تعالى لا يحرم على عباده شيئاً إلا وفيه ضرر يؤذيهم ويشقيهم ، وقد علمنا سبحانه بعض علل التحريم واستأثر بعلم بعضها وربما يكشفه لغيرنا قال تعالى فى آخر سورة الشورى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وإذا آمنا بالله وصدقناه وآمنا برسوله واتبعناه فإننا نقبل الشريعة كلها ما علمنا حكمته منها وما جهلنا حكمته . فكله إلى عالمه ، والعلة التى ذكر الله تعالى فى القرآن فى تحريم أكل لحم الخنزير ، أنه رجس ، أى نجس وقد علل المفسرون ذلك بأنه يأكل النجاسات ، وبأن له أوصافاً ذميمة وذلك كله حدس وتخمين لأن الحيوان ، لما كول اللحم إذا كان يأكل النجاسات لا يحرم لحمه ، غاية الأمر أنه يحبس قبل ذبحه بضعة أيام ويعلف علفاً طاهراً ، وقد اتفقت الأديان السماوية الدين الموسوي ، والدين العيسوى والدين المحمدى على تحريم أكل لحم الخنزير ، وأكثر النصارى يستحلون أكل لحمه افتراء على المسيح عليه السلام لأن كل شيء حرم فى التوراة فهو حرام على المسيح وعلى أتباعه إلا إذا نص المسيح على تحليله كالشغل يوم السبت ، وهذا منصوص عليه فى الإنجيل

فإن المسيح قال مامعناه : أنا ماجئت لأغير الناموس حتى تقوم الساعة لا يغير منه حرف ولا نقطة ، ويحسن هنا أن أحكى حكاية ، وقعت لى حين كنت طالباً ومدرساً للأدب العربى فى جامعة بون من البلاد الجرمانية من سنة ٣٩ إلى سنة ١٩٣٩ بتاريخ النصارى كنت آكل طعام الظهر ولا أسميه غداء . لأن الغداء يكون قبل الزوال فى لغة العرب عند رجل جرمانى يحترف التعليم وكان الذين يأكلون عنده كلهم جامعيين فكان يطعم النازلين عنده يوم الأحد لحم الخنزير إكراماً لهم واشترطت عليه أنا أن يقدم لى قطعة لحم عجل أو بيضتين وكنت فى ذلك الوقت آكل اللحوم التى لم تذكى بصورة شرعية بناء على مذهب ابن العربى المعافرى أنها تدخل فى قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فأراد أسد الحاضرين أن يستهزىء بالإسلام وأن يضحكهم على ! فقال لى : يافلان ماسبب العداوة التى بينكم وبين الخنزير معشر المسلمين ، ولست ممن منحهم الله الأجوبة البدهية إلا أن ذلك يحصل لى أحياناً ، فأجبته على البديهة ، وماسبب العداوة بينكم وبين الخنزير معشر النصارى ، فإنكم تحبسونه ، وقد خلقه الله طليقاً يسرح ويمرح وتذبحونه بل تقتلونه

وتسلخون جلده وتقطعون لحمه وتأكلونه فأينا عدو له نحن ، أم أنتم ؟ فضحك عليه الحاضرون ، ثم قلت له ما أقبح الشتائم عندكم باللغة الجرمانية فقال لى لم أفهم ما تقول فقلت له أقبح الشتائم عندكم (Sehwein Hund) أى (خنزير كلب) ومن المعلوم أنكم لم تجعلوا هذا اللفظ أقبح الشتائم إلا لنجاسة الخنزير والكلب فهما عندكم أنجس الحيوان، إلا أن الخنزير عندكم أنجس من الكلب، ولذلك قدمتموه فى الشتم على الكلب فهل تأكلون لحم الكلاب؟ قال لا . قلت فلماذا تأكلون النصف الأنجس وتحرمون النصف الذى هو أقل نجاسة عندكم؟ فأكلوهما جميعاً أو اتركوهما جميعاً ، فضحك الحاضرون أكثر من المرة الأولى ، ثم قلت له : أنت نصرانى أم شيوعى وهذه خدعة لأنه لا يستطيع أن يقول أنا شيوعى فى زمان « هتلر » ويمكن أن يقول إنه كافر ، لو قلت له أنت نصرانى أم كافر ، فقال هو نصرانى فقلت له إن أكل لحم الخنزير لا يحل لمن أراد أن يتبع المسيح لأنه كان حراماً عنده ، فقال هذا غير صحيح . فكل رجال الدين من النصارى يأكلون لحم الخنزير ، ثم يسأل أحد الحاضرين وكان حاصلا على لقب دكتور فى اللاهوت ، فقال له أسمعت ما قاله هذا العربى ، فقال الدكتور أما من الوجهة النظرية فكلامه صحيح وأما الكنيسة فإنها تحل أكله ، وبعد ذلك بسنتين اشتد على مرض قرحة المعدة . فدخلت مستشفى فى برلين وقلت لرئيسة الممرضات : إياك أن تقدمى لى لحم الخنزير فقالت لى ما أنت؟ فقلت مسلم ، فقالت لى فلتطب نفسك فإننا لا نأكل لحم الخنزير لأنه عندنا حرام فقلت لها من أنتم يهود ؟ فقالت : لا نحن نصارى من فرقة «aduenterten» قالت ونحن نمتاز عن بقية النصارى بأمرين أحدهما أننا نقدس السبت ونجعله لصلاتنا ونشتغل فى يوم الأحد ، والثانى : أننا نحرم لحم الخنزير ونحن فى الأمرين كليهما متبعون للمسيح ، ولو كنت أعلم وجود هذه الفرقة حين سألنى ذلك السائل بقصد الاستهزاء لأخبرته أن فى البلاد الجرمانية فرقة من النصارى تحرم أكل لحم الخنزير وتضلل من يأكله أو تكفره . ولما رجعت إلى العراق وجدت أتباع هذه الفرقة موجودين فى العراق ويسمون السبتيين ، والآن أذكر الحكمة فى تحريم لحم الخنزير ، من المعلوم أن كل خنزير وحشياً كان أو أهلياً يجرى فى جسمه نوع من الدود خاص به وكل من أكل لحمه ينتشر فى جسمه ذلك النوع ، ومعلوم أن

البلاد الجرمانية من أفضل بلاد أوربا فى المحافظة على الصحة وقد حدثنى من لا يحصى من الثقات رجالا ونساء أنهم رأوا فرش الصبيان فى مساكن الفلاحين يجرى فيها ذلك النوع من الدود ، لأن الفلاحين مشتغلون فى الأراضى الزراعية ولا تستطيع الحكومة الجرمانية أن تخصص لكل مزرعة أو لكل طائفة من المزارع طبيباً يفحص لهم كل خنزير يذبحونه ويعطيهم الإذن فى أكله فإن ذلك خاص بالمدن الكبيرة والصغيرة، وليس الأمر كما توهم أخو عبد السلام الساكن فى كندا أن كل خنزير يذبح فى العالم يكون عنده طبيب يفحص لحمه فيبيح أكله أو يمنعه ، والشرع الإسلامى وكل شرع ربانى صحيح يحرم كل أمر هو ضرر محض كتعاطى السم القاتل بسرعة أو ببطء ويحرم كذلك كل شىء ضرره أكثر من نفعه قال تعالى فى سورة البقرة (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) فالقرآن يثبت للخمر والميسر شيئاً من النفع ولكن ضررهما يربو على نفعهما فصارا من المحرمات ، فكذلك لحم الخنزير ضرره أكثر من نفعه ويمكن الاستغناء عنه بالإبل والبقر والغنم والخيل ، وقول السائل لماذا حرم الإسلام لحم الخنزير من دون سائر اللحوم غير صحيح فإن الإسلام حرم لحوم الكلاب وسائر السباع كالأسد والنمر والذئب والثعلب والهر وحرم أكل سباع الطير كالعقاب والنسر والبازى والغراب. وحرم لحوم الحمير الأهلية والبغال وأباح الحمر الوحشية وفى كل ذلك حكمة يعلمها من يعلمها ويجهلها من يجهلها .

الجواب عن السؤال الثانى : ترجمة القرآن أمر مستحيل لأن فيه بلاغة وإعجاز خاصين بلفظه وهو كلام الله تقصر عنه عبارة المخلوق ولكن يمكن تفسيره بالعربية وبغيرها من اللغات ، وقد قرأت كثيراً من التفاسير التى تسمى التراجم باللغة الانكليزية . فأولها ترجمة « جورج سيل » الانكليزى ، وجدت فيها فى الجزء الأول من القرآن ستين خطأ ومنها ترجمة يوسف على ، وهو مسلم هندى وترجمة « محمد مارماد يوك بكتال » وهو مسلم إنكليزى وفى كل منهما مئات الأخطاء وقد فسرت القرآن الكريم بالانكليزية بمعاونة صديقى وأخى فى الله الدكتور محمد محسن خان وستنشر هذه الترجمة لمعانى القرآن فى باكستان عن قريب إن شاء الله ، فإن المطبعة التى تطبعها مشغولة الآن بإتمام طبع ترجمة صحيح البخارى وعن قريب تتم بإذن الله. ونرجو أن تكون هذه الترجمة لمعانى القرآن أحسن من كل ما تقدم ولا نضمن لها العصمة فإنها خاصة بالأنبياء .